سلسلة

اللّه جل جلاله

(2)

توحيد اللّه

أحمد الجوهري عبد الجواد

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله سبحانه وتعالى وبحمده، وصلاة على رسوله وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم، أما بعد، فهذه كلمات يسيرة في قضية "توحيد الله" تلك القضية التي تمثل لب الدين وروح الإسلام وهي قاعدته وأصله وأساسه، التقطتها من كتاب "حقيقة التوحيد" للعلامة يوسف القرضاوي – أسكنه الله الفردوس – أسأل الله أن ينفع بها كاتبها وقارئها ومن كان في عملها بين الكتابة والقراءة إنه خير مسؤول.

أحمد الجوهري عبد الجواد

الإيمان بالله – بوجوده ووحدانيته وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته – روح الإسلام، وأصل عقائده كلها، وكل أركان العقيدة الأخرى تابعة له، والإسلام يركز على قضية الوحدانية ويدعو إلى توحيد الله علمًا وعملًا ومقاومة لما يضاده اعتقادًا وسلوكًا؛ لشدة ضلال الناس فيها فقد جاء الإسلام والشرك موجود في شرق الأرض وغربها وقد عدمت الأرض التوحيد إلا في أفراد قلائل من هنا وهناك.

تدل على وحدانية الله تعالى كل الدلائل – فطرية وعقلية وسمعية – فلو خلي بين الإنسان وبين فطرته لما عبد غير الله ولما عبد معه سواه {دعوا الله مخلصين له الدين}.

وكذا العقل لا يمكنه إلا أن يدل على أن وراء هذا الكون مكون واحد يضبط نظامه ويقدر ميزانه {لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا..}.

وكذا السمع والوحي في كتب الله تعالى جميعها وعلى ألسنة رسله إلى أقوامهم – وآخرها القرآن وسنة

المصطفى عليه الصلاة والسلام – يدل على التوحيد {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}.

وإذا كان الإيمان بالله جوهر العقائد فإن التوحيد هو جوهر الإيمان بالله بحيث لو تجرد الإيمان عن التوحيد كان كفرًا ورجسًا وضلالًا.

ولهذا كان أول الواجبات على المسلم أن يتعرف على التوحيد الحق ويعمل به ويدعو إليه، بعيدًا عن تثليث النصارى، وتحريف الفلاسفة، وتجريف دعاة وحدة الوجود، وتزييف المعتزلة والجهمية، وتخريف القبوريين.

التوحيد الذي أمر الله تعالى به هو أن يؤمن العبد بأن الله تعالى واحد متفرد في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له ولا شبيه له ولا ولد له ولا والد له، وأن يفرده عز وجل بالعبودية الكاملة والطاعة المطلقة، وقد بين القرآن الكريم هذا بكل وضوح في كل سورة من سوره.

يعتقد المؤمن أن الله تبارك وتعالى الرب الخالق المالك الرازق المدبر، ولعل هذا مما يشترك فيه مع المؤمنين كثير من المشركين وقد حكى القرآن الكريم لنا شيئًا من ذلك يقرون بربوبية الله تعالى لكنهم ينكرون إفراده تعالى بالعبادة والخضوع والطاعة.

وهو التوحيد الذي يختص به المؤمنون وفيه الخصومة بينهم وبين الكافرين منذ زمن نوح إلى يوم الناس هذا.

تشتمل العبادة على معنيين:

- نهاية الخضوع والذل.
- وكمال الحب.

فكل الخضوع مع كل الحب هي العبادة الواجبة لله رب العالمين.

وللعبادة صور كثيرة، منها: الدعاء بل هو مخ العبادة وروحها، ومنها: إقامة الشعائر الدينية من صلاة وصوم

وصدقة وحج ونذر وذبح إلخ، ومنها: الانقياد والإذعان الديني لله لما شرع الله من أحكام وقيم وقوانين ونظم.

وقد وجه رسل الله عنايتهم إلى تعريف الناس بالعبادة وبها نزلت الكتب ومن أجلها قامت الحياة وكان الجزاء في الآخرة بالجنة والنار.

عنوان التوحيد الذي جاءت به الرسل: "**لا إله إلا الله**"، وهي كلمة تتضمن نفي الألوهية عن ما سوى الله وتثبتها لله، وهي كلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص، وكلمة التقوى، وهي أصدق الكلام وأفضله ورأس الأمر وأحسن الحسنات، وفي الحديث: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله».

لم يزل توحيد الله تعالى بالعبادة المهمة الأولى لكل نبي ورسول.

ولو قال قائل: إن الله تعالى قد بعث كل نبي ورسول بأمرين اثنين، هما: الدعوة إلى عبادة الله وحده، والدعوة

إلى اجتناب الطاغوت، لم يكن قوله بعيدًا عما نصت عليه آيات القرآن في هذا الشأن.

ودونك آيات القرآن في الحديث عن المرسلين نوح فمن دونه إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

التوحيد هو شعار الإسلام وهو مهمة المسلم من يوم أن يولد فيؤذن في أذنيه ويقام، ثم يصلي فيتشهد في صلاته، ويؤذن لكل صلاة ويقام وهو يسمع، ويعيش على لا إله إلا الله يتعلمها ويقيمها ويعمل بها ويدعو إليها.

إن التوحيد حق الله على عباده، وهو حق لا يجوز التفريط فيه أو الغفلة عنه، ومن أولى بهذا من الله الذي أوجد من عدم وأمد بالنعم فحقه أن يشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى ويطاع فلا يعصى.

وقد اعتنى القرآن بهذا الحق بيانًا وتأكيدًا ووصية.

وإذا كان التوحيد هو رسالة المسلم في الحياة ومهمته التي يعيش بها، فإن التوحيد هو رسالة أمة الإسلام التي ينبغي أن تحملها بين الأمم وتؤديها إلى

العالمين، ودونك فتأمل رسائل المصطفى ﷺ إلى الأمم والملوك ومقولات الصحابة وتابعيهم في هذا الشأن كثيرة بليغة.

يتحقق التوحيد بثلاثة أمور:

بإخلاص العبودية لله، وذلك بألا يبغي غير الله تعالى ربًّا يعظمه كما يعظم الله، وألا يتخذ غير الله وليًّا يحبه كما يحب الله، وألا يبتغي غير الله حكمًا يطيعه كما يطيع الله.

وبالكفر بكل الطواغيت والبراءة ممن عبدها أو والاها من دون الله، والطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

وباتقاء الشرك بكل ألوانه ومراتبه وسد المنافذ إليه.

من جعل لله تعالى شريكًا فيما هو حق خالص لله كان مشركًا ولم يقبل الله تعالى منه شيئًا وإن مات على ذلك حبط عمله وخلد في النار.

والشرك نوعان: أكبر وأصغر، والشرك الأكبر منه ما هو ظاهر جلي كعبادة إله أو آلهة مع الله.

ومنه ما هو باطن خفي كالدعاء والاستعانة بالموتى والمقبورين.

وهو خفي لأن من يفعلونه لا يسمونه عبادة ويقولون: نحن لا نعتقد أنهم آلهة بل وسطاء بيننا وبين الله وشفعاء لنا عنده، يضاهئون قول وفعل المشركين من قبل، ومنه اتخذا غير الله مشرعًا وحكمًا.

والشرك الأصغر أعظم كبائر الذنوب، ومنه: الحلف بغير الله، ولبس الحلقة والخيط وتعليق التمائم والرقى والتمتمات التي ليست من الشريعة والسحر والتنجيم وغيرها من أمور يتخذها الناس أسبابًا لمقاصد وهي ليست أسبابًا في الحقيقة، بل نهى عنها الشرع.

ومن الشرك: النذر لغير الله كالقبور وأصحابها، والذبح لغير الله كتقديم القرابين، والطيرة وهي التشاؤم ببعض الأصوات المسموعة أو المرئية ونحو ذلك.

حرص الشرع الكريم على حماية التوحيد وسد منافذ الشرك.

ومن هذه المنافذ:

1- الغلو في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم.

2- الغلو في شأن الصالحين من الأموات والأحياء.

3- تعظيم القبور، لا سيما قبور الأنبياء والصالحين، ومن هنا نهى عن اتخاذها مساجد، والصلاة إليها، وإضاءتها وإيقاد السرج عليها، والبناء عليها وتجصيصها، والكتابة عليها، وتعليتها ورفعها، واتخاذها عيدًا؛ لأن هذا كله مدخل إلى الشرك أكبره أو أصغره كما هو معلوم من التاريخ والواقع معًا.

4- التبرك بالأشجار والأحجار والقبور ونحوها، والواجب إزالة هذا المنكر ومحوه لا تعظيمه والتبرك به.

5- الألفاظ التي توهم الشرك، مثل: ما شاء الله وشاء فلان، أو باسم الله والشعب، ولولا الله وفلان، أو اعتمدت على الله وعليك، والتسمي بأسماء الله أو باسم معبد لغير الله، وسب الدهر عند نزول النكبات والشدائد بالناس.

من ثمرات التوحيد اليانعة وآثاره النافعة:

1- تحرير الإنسان من عبودية الآلهة الزائفة، ومن الخرافات والأوهام، ومن مسالك النفاق وزيف الأخلاق.

2- تكوين الشخصية المتزنة التي عرفت غايتها ووجهتها وطريقها ووسائلها وجمعت عليها همتها.

3- التوحيد مصدر لأمن النفس وطمأنينتها، على النفس والرزق والأجل والأهل من الإنس والجن، وعلى المصير في الآخرة.

4- التوحيد مصدر لقوة النفس، بالرجاء والثقة في الله والتفويض والتوكل والاعتماد على الله والاستغناء بالله والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة بالله والصبر والرضا والاحتساب على الله.

5- التوحيد أساس الإخاء والمساواة، فالكل عبيد لله، يخضعون لرب واحد، على منهج واحد، بلا تمييز بجنس أو نوع أو لون، ولا تفاضل بنسب أو مال أو جاه.

والشرك ذو مفاسد وأضرار عديدة على الفرد والمجتمعات، ومنها:

1- الشرك مهانة للإنسانية، تنحط معه منزلة الإنسان ومكانته وتضيع كرامته، وأية مهانة؛ ترى سيد الكون الذي سخر الله له الأشياء لتخدمها يسجد هو للأشياء ويخدمها.

2- الشرك وكر للخرافات والأباطيل، تجد المشرك يتبع الدجاجلة ويقبل عقله الخرافات ويستند إلى الأوهام ويلغي الأسباب.

3- الشرك ظلم عظيم للحقيقة الثابتة وظلم للنفس بتعبيدها لغير الله ولهذا الغير الذي يعبده ويعطيه ما ليس له.

4- الشرك معطل لإيجابية الإنسان حيث يعتمد على الوسطاء والشفعاء، ومعوق للعمل النافع ومساعد على انتشار القبائح والمفاسد التي يتكل أصحابها على أولئك الوسطاء في أن يعفوهم منها.

5- الشرك مهلك للإنسان في الآخرة؛ يحرمه دخول الجنة، ويبوئه النار ويخلده فيها.

اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبينا محمد في أعالي جنان الخلد، والحمد لله، وصلى الله وسلم على سيدنا رسول الله.

الخاتمة

هذه نهاية الكلمات المختصرة في تلك القضية العظيمة: "توحيد الله"، ونلتقي – بمشيئة الله تعالى – مع القضية الثالثة من هذه القضايا العظيمة في الرسالة الثالثة" "أسماء الله"، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

أحمد الجوهري عبد الجواد